الفصل الأول

منشأ تهمة الصراع بين العلم والدين!!

في العصور الوسطى أصبح للكنيسة سلطة مطلقة لا يحق لأحد مخالفتها ، وتدخلّت في كل الأمور حتى مجالات المطبوعات ، قال الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى : (وحتم على كل مؤلف وكل طابع أن يعرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة ، وصدرت أحكام المجمع المقدس ، بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب أو ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره ، وأوعز إلى هذا المراقب أن يدقق النظر حتى لا ينشر ما فيه شيء يومئ إلى مخالفة العقيدة الكاثوليكية) [1] ، والتبرير لذلك التدخل : أن الكتاب المقدس فيه كل ما يطلبه الإنسان من العلوم!!

(إن أساس كل علم هو الكتاب المقدس ، وتقاليد الكنيسة ، وإن الله لم يقصر تعليمنا بالوحي على الهداية إلى الدين فقط ، بل علمنا بالوحي كل ما أراد أن نعلمه من الكون ، فالكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذي قدر للبشر أن ينالوه ، فجميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف السماء والأرض وما فيها ، وتاريخ الأمم مما يجب تسليمه مهما عارض العقل ، أو خالف شاهد الحس ، فعلى الناس أن

---

(١) الإسلام والنصرانية : مع العلم والمدنية : ٣٥ .

يؤمنوا به أولاً ، ثم يجتهدوا ثانياً في حمل أنفسهم على فهمه ، أي على تسليمه أيضاً كما ترى .

وقال بعض مجتهديهم : إنه يمكن أن يؤخذ فن المعادن بأكمله من الكتاب المقدس!!)[1] .

وقد سلك رجالات الدين آنذاك سلوكاً غير لائق بهم إلى درجة انتشار الشذوذ الجنسي بينهم ، وانتشار الرقص العاري و. . . ، نقل (ول ديورانت) عن القديسة (كرين السينائية) قولها : إنك أينما وليت وجهك سواء نحو القساوسة أو الأساقفة ، أو غيرهم من رجال الدين ، أو الطوائف الدينية المختلفة ، أو الأحبار من الطبقات الدنيا أو العليا ـ سواء كانوا صغاراً في السن أو كباراً ـ لم تر إلا شراً ورذيلة تزكم أنفك رائحة الخطايا الآدمية البشعة ، إنهم كلهم ضيقو العقل ، شرهون ، تخلو عن رعاية الأرواح ، اتخذوا بطونهم إلهاً لهم ، يأكلون ويشربون في الولائم الصاخبة ، حيث يتمرغون في الأقذار ، ويقضون حياتهم في الفسق والفجور[2] .

أما موقف العهدين : القديم والجديد من مسألة العلم : فالمتصفح لها يرى نفسه أمام قصص وعظية ، تدعوا إلى ترك الدنيا والانقطاع إلى الآخرة : ورد في الإصحاح السادس : لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ، لذلك أقول لكم : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ، وبما تشربون ، ولا لأجسامكم بما تلبسون ، . . . ، فلا تهتموا للغد ، لأن الغد يهتم بما لنفسه[3] .

---

(١) هذا القول نقله الشيخ محمد عبده عن واحد من كبار القساوسة (تيرتورليان) : ٢٧ـ٢٨ .

(٢) قصة الحضارة : ٢١/ ٨٥ .

(٣) إنجيل(متى) : ٢٤ .

وفي العهدين ترى الأمور الخارقة من كرامات ونحوه ، وبالمقابل : لم يتطرق إلى مسألة التأمل والتفكر والتدبر ، بل على المتبع التسليم المطلق دون مناقشة!!

وترى أموراً تاريخية بروايات مناقضة لا يتحملها العقل ، وبالتالي تجد فيه تناقضات مع الكشوفات العلمية ، من ذلك موقفهم من التخدير أثناء الولادة ، كما ورد في سفر التكوين : وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولاداً[1] .

كذلك ورد فيه كثير من الأمور التي تخالف العلم ، كفكرة أن (أورشليم) تقع في مركز الأرض ، وأن كل ماعداها من بقع العالم يقع على ضفاف المدينة المقدسة ، وغيرها .

وفي العهد الجديد رفض لفكرة بشر يقطنون الجهة المقابلة من الأرض ، كل هذا جعل الطبيب (بطرس ألبانو) يعذّب في محكمة التفتيش حتى الموت ، وهكذا مع الفلكي (شيكودا سكولي) حيث أحرق حياً في فلورنسا! وهكذا مع(جاليلو) حيث اتهم بالكفر والإلحاد!!

إذاً : لهذا كله نشأ العداء بين العلم والكنيسة ، وليس للإسلام في ذلك أي دخل أبداً!!!

* * *

(١) سفر التكوين : الإصحاح الثالث ٣/ ١٦ .